لرفس يُعَدُّ من عجائب المسكونة العظمى واما يوليوس كابيتولينوس وهو كاتب تاريخ انطونيوس فلم يذكر شيئًا من ذلك ولهذا زعم البعض ان انطونيوس انما رمَّم ذلك الهيكل وادَّعى بناءهُ . وبعلبكُ من السريانية بمعنى مدينة بعل اي الشمس ويظهر من كتابة انطونيوس بيوس على القاعدتين في الرواق المقدَّم ان الهيكل الكبير كان مكرسًا لكل الآلهة فيكون الصغير هيكل بعل او الشمس كما سميناهُ فكانوا يعبدون الشمس فيهِ و (قال بعضهم) الزهرة ايضًا حتى ابطل الملك قسطنطين عبادتهما كلتيهما . ولما قام ثيودوسيوس الكبير (من ٣٧٩ الى ٣٩٥ بعد المسيح) حوَّله الى كنيسة ولم تزل في قبضة المسيحيين حتى زحف ابو عبيدة من دمشق على حمص فحاصر بعلبكَّ واخذها وحصن هيكليها وجعلها قلعةً فاشتهرت بهذا الاسم وكان لها في حروب السلاجقة وسلاطين مصر نبأٌ عظيم . وفي ١١٢٩ فتحها الامير زنجي وزلزلت في ذلك الجبل زلازل عدة وفي ١١٧٥ استحوذ عليها صلاح الدين الايوبي وفي ١١٧٦ شن الصليبيون الاغارة من طرابلس على ضواحيها تحت قيادة ريموند فغزوا العرب وآبوا غانمين واغار عليها ايضًا بلدوين الرابع من صيدا فغزا وعاد غانمًا وفي ١٢٦٠ خربها هولاكو وفتحها بعدهُ تيمور ثم استولى عليها المناولة ولم تزل تابعة لبني الحرفوش حتى استولى عليها الجزَّار فدخلت في حكم الاتراك ولم تزل

هذا ومذهب العرب والاهالي ان سليمان باني خرابات بعلبكَّ ومذهب غيرهم ان المصريين بنوا الدكة وغيرهم ان الفينيقيين بنوها وان الرومان بنوا الابنية التي عليها وان العرب بنوا بناءهم وحصَّنوا القلعة من انقاض الابنية الأُخَر . فهذا مجمل آراء الجمهور وعليهِ يكون باني قلعة بعلبكَّ غير واحدٍ والله اعلم

الحيَّات

كلام عام * اجمع الناس في كل عصر على كراهة الحيَّة ونسبتها الى الشر والدهاء مطابقةً لما جاء عنها في الكتب الدينية او فزعًا مما في انسابها من الخبث وفي انيابها من السم الناقع فهابوها مهابة العدو والقدير وراعوا جانبها مراعاة الملك العاتي ولم يأمنوا غوائلها في حال من الاحوال قالوا

انَّ الافاعي وان لانت ملامسها عندَ القلوبِ في انيابها العطَبُ

ورسخت هيبتها في عقول السذَّج حتى لم يتصوَّروا معها الاَّ الموت الاحمر والحال ان اكثرها غير سام والسام نادر على قلتهِ كما سنبينهُ

والحيَّات انواع كثيرة تندرج تحت قسمين كبيرين سام وغير سام وكلها تشترك في دقَّة البدن واستطالتهِ وملاستهِ وخلوهِ من القوائم (الايدي والارجل) . ومن اخص اوصافها ان فكيها مرتبطان

ارتباطًا يمكنها من فتح شدقها الى حدٍّ يتضي بالعجب كما يتبين من الشكل الاوّل والثاني واسنانها في فكيها عقفاء مخروطية الشكل تمسك بها فرائسها وتزجها في حلقها الاّ ان هذه الاسنان تختلف هيئةً ووضعًا باختلاف الحيّات فهي في غير السامّة مخاريط مصمتة منتظمة حول الفكين وعلى عظام سقف الحلق ايضًا . اما السامّة فليس لها في الفك العلوي الاّ نابان كبيران اعقفان يتصلان بمجاري السم ويتقصبان عند هياجها وينطويان في فمها عند سكونها وفي كلٍّ منهما قناة يجري السم منها عندما تنهش بها ملسوعها . اما اسنان سقف الحلق والفك السفلي فهي في السامّة كما في غير السامة وكل ذلك على وجه التغليب . وسمها مودع في الجرابين المذكورين وهما غدتان في مقدّم الفك العلوي صورتهما ظاهرة في الشكل الثاني

(١) عظام راس الحية

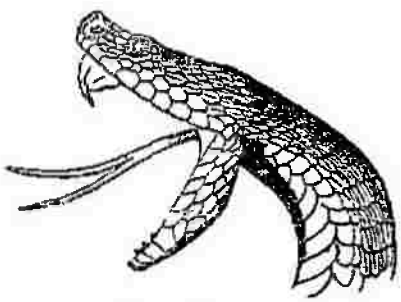

(٢) شدق الحية مفتورًا

والحية تعيش بالقنص ولكنها لا تمزّق فرائسها ولا تمضغها بل تبتلعها صحيحة بعد ان تميتها لسعًا او ضغطًا وكثيرًا ما تبتلعها حيّةً وتكابد في ابتلاعها تعبًا شاقًا نظرًا لكبرها ثم اذا ابتلعتها استكنت في سربها زمنًا طويلاً قد يزيد على الشهر حتى تهضمها . ومن الحيّات ما يفترس بعضهُ بعضًا وهو نادر . وما تزعمهُ العامة من ان الحية تحلب البقر رضاعة فلا صحة لهُ . اما استطاعة الحية على الانسياب السريع مع خلوها من الارجل فمن الامور المدهشة في بادئ الراي ولكن لدى التامل يظهر ان اضلاعها الممتدّة على اكثر جسمها تحركه بسهولة كما تحرك ارجل غيرها من الزحّافات وبالحصر كما تحرك ارجل خاتم سليمان فتزحف عليها كما يزحف على ارجلهِ غير ان انقباض فقار ظهرها وانبساطه يزيد حركتها سرعةً . والشكل الثالث صورة فقار الحية واضلاعها الممتدّة من راسها الى ذنبها

وجلد الحيّة مغطًى بحراشف يغشاها غشاء رقيق يتّبع معها كل غضونها وشكل هذه الحراشف مدوّر على ظهرها ومسدّس او قائم الزوايا على راسها وبطنها وعلى شكلها يتوقف تقسيم الحيات الى انواعها . وعينا الحية عاريتان من الجفون واذناها غير ظاهرتين وانفها في طرف

فتطيستها ولسانها طويل دقيق متنضنض ذو شعبتين ولها سن في الغالب رتة واحدة على اليسار وباقي احشائها مناسبة لجسمها طولاً ومرارتها منفصلة غالبًا عن كبدها. والطبيعيون مختلفون كل الاختلاف في تقسيم الحيات وليس المراد من هذه المقالة استقراء مذاهبهم وتدقيقاتهم العلمية بل ذكر ما تمس اليه الحاجة من وصف الحيات السامة وغير السامة لتجنب الاولى وعدم خوف الثانية لان هذا افضل علاج لها كما حكم اشهر الباحثين في هذا الموضوع

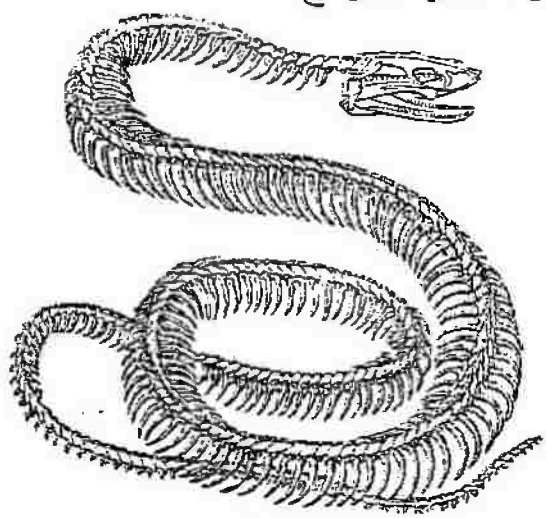

(٣) هيكل الحية

الحيات السامة * يدخل تحت هذا القسم الافاعي والاصلال وذوات الاجراس ولكلٍّ منها نابان في الفك العلوي اعتفان مثقوبان متصلان بغدد السم فاذا لدغت انسانا او حيوانًا نفثت سمها في الجرح فيسري في الدم ويمتزج به حتى اذا كان السم كافيًا بصلة غير صالح لقيام الحياة فيموت الملسوع من جرى ذلك . وليس لسمها فعل واحد في كل انواع الحيوان لان اكثر الباردات الدم لا تتأثر به بخلاف الحارته . ولقد استعمل الناس وسائط مختلفة علاجًا للسع الحيّات اخصها مص الجرح بالفم او بالمجمة او قص اطرافه او كيه بالحديد او بالصودا الكاوية وكلها لا تنفع الاّ اذا استعملت حالاً عقيب اللسع والاّ قلّ الرجاء من فائدتها او انقطع . ورأسها عريض مثلث واكثرها تنفس بيوضها وهي في بطنها اي انها تلد ولادةً

اما الافاعي فمنها الافعى المشهورة وهي حية بذراه قصيرة لا تزيد عن قدمين الاّ نادرًا بطنها اسود وما بقي منها فاصفر وعلى ظهرها رقط سود ورأسها كبير مثلث وهو اغلظ من عنقها كثيرًا وذنبها ثخين وماواها الاماكن القفرة وطعامها الفيران والجرذان ونحوها وان شُقّت الحبلى منها قبل ان تلد

بقليل خرجت اولادها من بطنها وهي ما بين عشرة وعشرين فان عنها احد انتصبت للحماماة عن نفسها بنفس ابية وجسارة موروثة

ومنها الحية القرناء وشاعت تسميتها بالصل وهذا لا يخلو من نظر ويكثر وجودها في سورية ومصر وبلاد العرب وطولها ما بين قدم وقدم ونصف وللذكر منها قرنان صغيران فوق عينيه يزيدان منظرهُ هولاً وبواحدة منها قتلت كليوبترا نفسها خوفًا من العار

(٤) الصل

واما الاصلال فاشهرها حية صغيرة الراس منتفخة العنق كما ترى في الشكل الرابع ويكثر وجودها في الهند ومصر وجنوبي سورية ويجلها الكواة بعد ان يقلعوا انيابها وقد تتصب في يدهم فتصير كالعصا اليابسة فظن البعض انهم يمسكونها على عنقها مسكًا تيبس به كما يبس الناس في النوم المغنطيسي ويظن غيرهم ان الحاوي اذا رأى صلاً تبعهُ الى سربهِ وصفر له بصفّارة حتى يخرج الى خارج فيمسكهُ بذنبهِ ويرفعهُ عن الارض مادًّا يدهُ على طولها فحاول الصل ان يلدغهُ ولا يستطيع الى ان تفرغ قواهُ فيضعهُ في سلة ذات غطاء ثم يفتح الغطاء قليلاً وهو يصفر وكلما حاول الصل الخروج طبقها عليهِ حتى يتعلم ان يقف على ذنبهِ ويتمايل على الصفير والظاهر ان الصفير يلذ له

كثيراً حتى يحمرّ فان ابى الانقياد واصرّ على الخروج نزع الحاوي نابيهِ حذراً منهُ والاّ ابقاها وعاملها بكل ما يمكن من التدليل والاحتراس ومع كل احتراس الحواة لا يندران تلدغهم اصلالهم فيهلكون ضحيةً لشعوذتهم

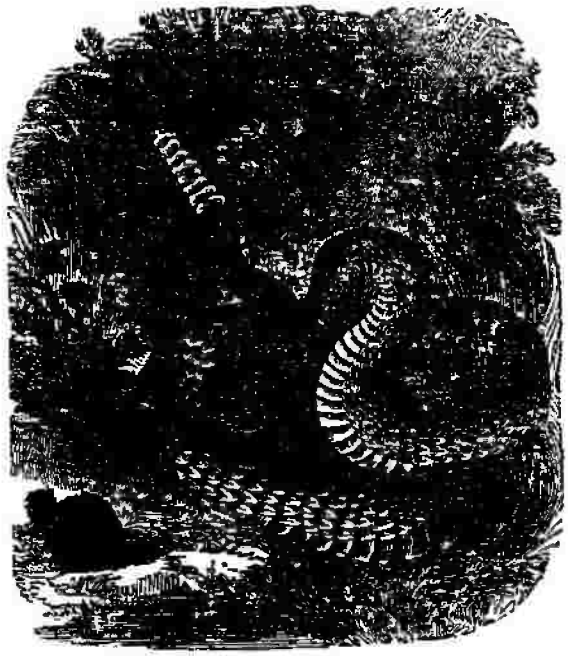

(٥) ذات الاجراس

واما ذوات الاجراس فمن اشهرها ذات الاجراس الاميركانية التي تمتاز عن بقية الحيات بزائدة في ذنبها مؤلفة من عدد قرنية متصلة بعضها ببعض تخشخش بها عند انسيابها (شكل ٥) ولا تعلم غاية هذا الذنب بالتحقيق والمرجّح انهُ لايقاظ فرائسها . وهي جبانة بالطبع فلا تتعرض للانسان ولا تبادئهُ بالشر ما لم يتعرض لها بمكروه . وطولها عادةً ما بين اربع وست اقدام وقد يبلغ الثماني والتاسعة البالغة منها لا تحمل ملسوعها اكثر من دقيقتين ومن يلحقهُ انها اماتت كلباً في اقل من ربع ثانية . ومنها انواع عارية من هذا الذنب وكلها سامة الى الغاية وعلماء الحيوان يحصرونها في اميركا الاّ ان ذات الاجراس اسم عربي فوجودهُ في العربية يشعر بوجودها في بلادهم . وسياتي الكلام عن الحيّات غير السامّة وكبرها العجيب ونوادرها الغريبة

الرخام * الرخام حجر كلسي تبلور بالحرارة والوانهُ المختلفة ناتجة من اكاسيد المعادن التي تخالطهُ فالحديد يحمرهُ ويسمرهُ والنحاس يخضرهُ والمغنيس يسودهُ